﴿وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾﴾ [الفرقان: 74]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قَبْلَها:

حـرصُ المؤمنين عـلى انـتـشـار الدّين

لـمّا ذكر ما تحلّى به عبادُ الرّحمن منَ الخصال المثمرةِ والطّاعات المرضيّةِ، ذكر صفةً ثالثةً للمؤمنين بأنّهم يُعنَوْنَ بانتشار الإسلام وتكثيرِ أتباعه بما يضمنُ استمرارَ عمارة الوجودِ بالطّاعات[1].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿هَبْ﴾: (وهب): كَلِماتٌ لا يَنْقاسُ بَعْضُها على بَعْضٍ، ووَهَبْتُ لَهُ هِبةً، ومَوهِبَةً، ووَهْبًا، ووَهَبًا إذا أَعْطَيْتُهُ[2]، والهِبةُ: العَطيَّة الخاليةُ عَنِ الأَعْواضِ والأَغْراضِ، فإذا كَثُرَتْ سُمّي صاحِبُها وهّابًا، وهوَ مِنْ أَبنية المُبالغة، والوَهّابُ مِنْ صفاتِ اللّه، المُنعِمُ عَلى العِبادِ، وكلُّ ما وُهِبَ لَكَ، مِنْ ولَدٍ وغَيْرِهِ: فهوَ مَوهوبٌ[3].

2) ﴿أَزْوَاجِنَا﴾: (زوج) تدور اشتقاقاتُها على مقارنة شيءٍ لشيء، ومن ذلك الزّوج: زوجُ المرأة، والمرأة زوجُ بعلِها، وهو الفصيحُ، قال اللّه جلّ ثناؤه: ﴿ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ﴾ [البقرة: 35][4]، فالزّوج كلُّ شيءٍ ثانٍ مع شيء آخرَ بينهما تقارنٌ في حال ما، وسمّيت الأنثى القرينةُ للرّجل بنكاح: زوجًا؛ لأنّها اقترنت به وصيّرته ثانيًا، ويُسمّى الرّجل زوجًا لها لذلك بلا فرق، فمِن ثَمَّ لا يقال للمرأة زوجةٌ بهاء التّأنيث؛ لأنّه اسمٌ وليس بوصف[5]، والمرادُ بالأزواج في الآية اسمٌ لذاتٍ مُنْضَمّةٍ إلى غيرها على وجه الملازمة.

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 13/ 434، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 19/ 81.
(2) ابن فارس، مقاييس اللغة: (وهب).
(3) الراغب، المفردات: (وهب).
(4) ابن فارس، مقاييس اللّغة، والأزهريّ، تهذيب اللّغة، وابن منظور، لسان العرب: (زوج).
(5) الرّاغب، المفردات، وابن منظور، لسان العرب: (زوج)، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 1/ 428.

3) ﴿وَذُرِّيَّتِنَا﴾: (ذرّ) أصل يدلّ على لطافةٍ وانتشارٍ[1]، ومنه ذرَرْتُ، وهو أخذُك الشّيءَ بأطراف أصابعك تَذُرُّهُ ذَرَّ الملح المسحوقِ على الطّعام[2]، والذُّرِّيَّةُ: الخَلق والنّسلُ، مأخوذة من الذّرء، تقول: ذرأ اللّه الخلق، أي: خلقَهم، وذرية الرّجل: ولدُه[3]، وقيل: هو مأخوذٌ من الذّرّ، وهو النّشر، فيقال: ذرّ الشّيء، يَذُرُّه أي نشره، أو من صغار النّمل؛ لأنّ اللّه أخرج الخلقَ من صلب آدمَ كالذّرّ[4]، والجمع الذّراري والذّرّيات، والمقصود بالذّرّية في الآية نسلُ الإنسان من ذكور وإناث.

4) ﴿قُرَّةَ أَعْيُنٍ﴾: (قرّ) أصلان صحيحان، يدلُّ أحدُهما على برد، والآخرُ على تمكّنٍ، والمقصودُ هنا الأوّلُ فالقُرُّ، وهو البرد، ويومٌ قارٌّ وقَرٌّ، وقولهم: أَقَرَّ اللّه عينَه، زعم قومٌ أنّه من هذا الباب، وأنّ للسّرور دمعةً باردةً، وللغمّ دمعةً حارّةً، ولذلك يقال لمن يُدعى عليه: أسخن اللّه عينَه[5]، والمفهوم من قرّة العين أن تكون مطمئنّةً بذكر اللّه وأن يكون الأزواجُ والذرّيّات في سكينة الإيمان، برؤيتهم مطيعين للّه تعالى، وقرارُ العين مظهرٌ من مظاهر سكونِ النّفس، واطمئنانِ الفؤاد[6].

5) ﴿لِلْمُتَّقِينَ﴾: (وقي) كَلِمَةٌ واحِدَةٌ تَدُلُّ على دَفْعِ شَيْءٍ عَنْ شَيْءٍ بِغَيْرِهِ، المُتّقي اسمُ فاعِلٍ من (اتَّقَى)، وهو افتعالٌ من (وَقى)؛ فأصلُ التّاء من (اتَّقى) واوٌ: اوْتَقى[7]، ومصدر (اتَّقى): الاتِّقاءُ، والتَّقوى والتُّقَى: الصّيانَةُ والحِفْظُ[8]، أو جَعْلُ النَّفس في وِقاية مِمّا يُخافُ[9]، أمّا الاتِّقاء؛ فهو افْتِعالٌ مِنَ التَّقْوى يُرادُ به: اتِّخاذُ الوقاية[10]، فالافْتِعال هَهُنا بمعنَى الاتِّخاذ، كما يقال: اخْتَتَمَ زَيْدٌ؛ إذا اتَّخذ خاتمًا، واخْتَدَمَ إذا اتَّخَذ خادِما، ونحو ذلك[11]، وحقيقةُ التَّقوى شرعًا: اتِّخاذُ الوقايةِ مِنْ عذابِ اللّهِ تعالى، وذلك بِفِعْلِ أوامِرِه واجتنابِ نَواهيه[12].

(1) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (ذرّ).
(2) الخليل، العين، وابن منظور، لسان العرب: (ذرر).
(3) الأزهري، تهذيب اللّغة، وابن فارس، مقاييس اللّغة: (ذرّ).
(4) الخليل، العين، والجوهريّ، الصّحاح، وابن فارس، مقاييس اللّغة: (ذرّ - ذرر).
(5) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (قرّ).
(6) ابن عطية، المحرر الوجيز: 4/ 222، وأبو زهرة، زهرة التفاسير: 10/ 5324.
(7) يُنظر: ابن منظور، لسان العرب: 15/ 402، والزّبيدي، تاج العروس: 40/ 229.
(8) الجوهريّ، تاج اللّغة وصحاح العربيّة: 6/ 2527، والرّاغب، المفردات: (وقى)، والفيّوميّ، المصباح المنير: 2/ 669.
(9) الرّاغب، المفردات: (وقى)، ووصف الرّاغبُ هذا البيانَ بأنّهُ التّحقيقُ.
(10) عليٌّ الجرجانيّ، التّعريفات، ص: 65.
(11) الحملاويّ، شذا العرف في فن الصّرف، ص: 32.
(12) ابن عثيمين، القول المفيد: 2/ 478.

6) ﴿إِمَامًا﴾: (أمَّ) أصلٌ واحد له فروعٌ كثيرة، فالإمام: كُلُّ من اقتُديَ به وقُدِّمَ في الأمور، والنّبيّ ﷺ إمامُ الأئمّة، والخليفةُ إمامُ الرّعيّة، والقرآن إمامُ المسلمين[1]، فكلّ من يؤتمّ به إنسانًا كان فيُقتدى بقوله أو فعله، أو كتابًا، أو غيرَ ذلك محقًّا كان أو مُبطِلًا، سُمّي إمامًا، وجمعُه: أئمَّة، نحو قوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَدْعُواْ كُلَّ أُنَاسٍۭ بِإِمَٰمِهِمْ﴾ [الإسراء: 71] أي: بالّذي يقتدون به[2]، فيكون معنى ﴿إِمَامًا﴾ في الآية: أنّهم طلبوا أن يجعلَهم اللّه رؤساءَ يُقتَدى بهم في الخيرِ[3].

❁ المَعْنَى الإجْماليُّ:

يصفُ ربّنا سبحانه عبادَ الرّحمن بأنّهم الّذين يسألون اللّه تعالى قائلين: (ربّنا هب لنا مِن أزواجنا وذريّاتنا ما تَقَرُّ به أعيننا، وفيه أُنسُنا وسرورُنا، واجعلنا قدوةً يُقتدى بنا في الخير)[4].

حـــرصُ عـبـادِ الـرّحـمـن على انـتـشـار الـخـير ونيْلِ الإمامةِ في الدّين

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغيُّ:

بلاغةُ الوصل بالواو:

وُصل قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ﴾ بما قبله بحرف الواو الدّالّ على الجمع والاقتران؛ لأنّه تكميلٌ لصفات عبادِ الرّحمن المذكورةِ في الآيات السّابقة ابتداءً من قوله تعالى: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمًا ﴿٦٣﴾﴾ [الفرقان: 63]، فعطف في هذا الموضع صفةً من صفاتهم المحمودة وهي الرّغبةُ في انتشار الدّين عبر الذّرّية، وقد توسّط العاطفُ بين هذه الصّفات لتنزيلِ الاختلافِ العنوانيِّ منزلةَ الاختلافِ الذّاتيِّ[5].

رغبةُ الصّالحين فـــي تـمـسّـك ذريّاتِهم بالدّين

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة: (أمم).
(2) الراغب، المفردات: (أمم).
(3) الواحدي، البسيط: 15/ 128.
(4) نخبة منَ العلماء، التّفسير الميسّر، ص: 366.
(5) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 6/ 231.

سرُّ التّعبير بالموصولِ (الّذين):

عـنـايـةُ عـبـادِ الرّحمن بانتشار الإسلام

أوثرَ في قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ﴾ التّعبيرُ بالاسم الموصولِ (الذين) الخاصِّ بجمع المذكّر العاقلِ لِما يسمحُ به الموصولُ من الوصف بجملة الصّلة، فمدح عبادَ الرحمن بأنّهم يُعنَون بانتشار الإسلام وتكثير أتباعه فيدعون الله أن يرزقهم أزواجًا وذرّيّاتٍ تَقَرُّ بهم أعينُهم.

سرُّ تَكرارِ الاسم الموصولِ في الآيات:

تنزيلُ الاختلافِ العنوانيّ منزلةَ الاختلافِ الذّاتيّ

أعيد الموصولُ في المواقع السَّبعةِ مع كفايةِ ذكرِ الصِّلات بطريقِ العطفِ على صلة الموصول الأوّل؛ للإيذان بأنَّ كلَّ واحدٍ ممّا ذُكر في حيِّزِ صلةِ الموصولاتِ المذكورة وصفٌ جليلٌ على حياله له شأنٌ خطيرٌ حقيقٌ بأنْ يُفردَ له موصوفٌ مستقلٌّ ولا يُجعلَ شيءٌ من ذلكَ تتمّةً لغيرِه، وتوسيطُ العاطفِ بين الموصولاتِ لتنزيلِ الاختلافِ العنوانيِّ منزلةَ الاختلافِ الذّاتيِّ[1]، وتَكرارُ التّعبير بالموصول فيه دلالةٌ أيضًا على أنّ الحكم الفرديَّ ههنا كالحكم الجماعيّ، ليشملَ كلَّ مَنْ تتحقّق فيه الصّلة.

إيثارُ لفظِ القول مضارعًا مجموعًا:

تـكـرّرَ دعـاءُ المؤمنين لأهلهم بـصـلاح الـدّنـيـا والدّين

أوثر استعمالُ الفعل ﴿يَقُولُونَ﴾ بصيغة المضارع في قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ﴾ لما تدلّ عليه هذه الصّيغةُ من التّجدّد والدّوام والاستمرارِ، ففي ذلك إشارةٌ إلى تكرّر هذا الدّعاء منهم مرارًا ومداومتهم عليه لِما فيه من الخير العميم في الدّنيا والآخرة لهم ولأهلهم أجمعين، ولمّا كان لفظُ القول يصحُّ جعلُه مجازًا عن الاعتقادات والآراء[2]، جازَ أنْ يخرج قولُهم مخرجَ الاعتقاد الرّاسخ، والدّعاء المُتيقَّن.

(1) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 6/ 231.
(2) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 1/ 34.

سرُّ التّعبير بلفظ الرّبوبيّةِ والإضافةِ:

تَشَرُّفُ المؤمنين بسؤالِ ربّهم الرّحيمِ

عُبِّرَ في قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا هَبْ لَنَا﴾ بوصف ﴿رَبَّنَا﴾ دون سواه من أسماء الله وصفاته لِما في وصف الرّبوبية من الدّلالة على الشّفقة بالمربوب ومحبّةِ الخير له، ولتتأتّى الإضافةُ المفيدةُ للتّشريف والقرب، فهو ربُّهم الذي يرجونه ويسألونه هبةَ قرّة العين في الأزواج والبنين.

دلالةُ الأمر ﴿هَبْ﴾:

قرّةُ عينِ المؤمنين في هبة الله الكريمِ

عُبِّرَ بفعل الأمر ﴿هَبْ﴾ في قوله تعالى: ﴿هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ﴾ الخارج ههنا مخرج الدّعاء، طلبًا للهبة، والهِبةُ: العَطيَّة الخاليةُ عَنِ الأَعْواضِ والأَغْراضِ، وكلُّ ما وُهِبَ لَكَ، مِنْ ولَد وغَيْرِهِ: فهو مَوهوبٌ[1]، فعبادُ الرحمن سألوا ربّهم الوَهّاب، المُنعِمَ عَلى العِبادِ، أن يُعطيَهم قرّةَ العين في الأزواج والذّرّيّة.

فائدةُ التّعبير بشبهِ الجملة ﴿لَنَا﴾ مقدّمًا:

الاهتمامُ بتعجيل المنفعةِ بالأزواج والذّرّيّة الصّالحة

تقدّم شبهُ الجملة ﴿لَنَا﴾ في قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ﴾؛ لنكتةِ تخصيصهم بهذه الهبة، والاهتمامِ بحصول المنفعة لهم بالأزواج والذّرّيّة الصّالحة، فمن أجل ذلك جُعل دعاؤهم هذا من أسباب جزائهم بالجنّة وإن كان فيه حظٌّ لنفوسهم بقرّة أعينهم؛ إذ لا يُناكدُ حظُّ النّفس حظَّ الدّين في أعمالهم[2].

معنى ﴿مِنْ﴾ في الآية:

أثرُ حروف المعاني في تنوّع السّياقِ القُرآني

استعمل حرفُ الجرّ ﴿مِنْ﴾ في قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ﴾، ويحتملُ في سياق الآية أنْ تكون بيانيةً، كأنّه قيل: هب لنا قرّةَ أعين، ثمّ بُيّنت القرّةُ وفُسّرت بقوله: من أزواجنا وذرّيّاتنا، ومعناه: (أن يجعلهم الله لهم قرّة أعين)،

(1) الراغب، المفردات: (وهب).
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 19/ 81.

وهو من قولهم: رأيت منك أسدًا، أي: أنت أسدٌ، ويحتمل أيضًا أن تكون ابتدائيةً على معنى: هب لنا من جهتهم ما تقرّ به عيونُنا من طاعة وصلاح[1].

سرُّ جمع الأزواج والذّرّياتِ ودلالةُ تعريفهما:

اتّـفـاقُ كـلـمةِ المـؤمـنـين في سُؤال قرّةِ العين

استُعمل في قوله تعالى ﴿رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ﴾ لفظُ الأزواج والذّرّيّات جمعًا، وقد أضيفتا إلى ضمير المتكلّمين؛ لأنَّ المرادَ أن يدعوَ كلُّ واحد لنفسه بالزّوجة والذّرّيّة الصّالحة المطيعة، أو لأنَّهم كنفس واحدةٍ لاتّحاد طريقتهم واتّفاق كلمتِهم، ومدارُ هذا صدورُ هذا الدُّعاء إمّا عن الكلِّ بطريق المعيَّةِ، وإمّا عنْ كلّ واحدٍ منْهُم بطريق تشريك غيرِه في الدّعاء، والظّاهرُ صدورُه عنهم بطريقِ الانفرادِ وأنَّها عبارةُ كلِّ واحدٍ منهم عند الدُّعاء خلا أنّه حُكيت عباراتُ الكلِّ بصيغة المتكلِّم مع الغيرِ للقصدِ إلى الإيجاز على طريقة قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُوا۟ مِنَ ٱلطَّيِّبَـٰتِ وَٱعْمَلُوا۟ صَـٰلِحًا﴾ [المؤمنون: 51][2].

نكتةُ الجمع بين الأزواج والذّريات:

المقصدُ الأصيلُ منَ الزّواج طلبُ النّسلِ الصّالح

جُمع بين الأزواج والذّريّات في قوله تعالى: ﴿أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا﴾ إشارةً إلى أنّ الغرض الأصيلَ من الزّواج هو طلبُ النّسل الصّالح لا مجرّد قضاء الشّهوة، وكذلك جاء الولدُ في الآية منسوبًا إلى الأزواج وهو جمع زوجٍ هو الولد الصُّلبيُّ، والصّالحون يسألون أزواجًا وذرّية في الدّنيا يشاركونهم، فأحبّوا أن يكونوا معهم في التّمسّك بطاعة اللّه فيقوى طمعُهم في أن يصيروا معهم في الجنّة فيتكاملَ سرورُهم في الدّنيا والآخرة[3].

(1) الزمخشريّ، الكشّاف: 3/ 296.
(2) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 6/ 231.
(3) الزمخشريّ، الكشّاف، 1/ 266، والفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 24/ 486، وأبو زهرة، زهرة التفاسير: 10/ 5324.

بلاغةُ تقديمِ الأزواج على الذّرّيات:

صلاحُ الزّوجات مفتاحٌ لصلاح الذّرّيات

قُدّمتِ الأزواجُ على الذّرّيات في قوله تعالى: ﴿أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا﴾؛ لأنّ الأزواج هنّ منشأ الذّريّة ومصدرُها، فقدّم الأصلُ على الفرع، كما أنّ أعظم سببٍ لصلاح الذّرّيات هو اختيارُ الأزواج الصّالحات.

توجيهُ القراءات في ﴿وَذُرِّيَّتِنَا﴾:

أثـرُ اخـتـلافِ القراءة في تنوّع الدّلالة

تنوّعتِ القراءةُ في لفظ ﴿وَذُرِّيَّتِنَا﴾ من قوله تعالى ﴿رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ﴾ فقرأ المدنيان، وابنُ كثير ويعقوبُ وابنُ عامر وحفصٌ بالألف على الجمع، وقرأ الباقون بغير ألف على الإفراد[1]، فقراءة الجمهور بالجمع ﴿وَذُرِّيَّتِنَا﴾ جمع ذُرّيّة، والجمع مُراعًى فيه التّوزيعُ على الطّوائف من الذين يَدّعون بذلك، وإلّا فقد يكون لأحد الدّاعين ولدٌ واحدٌ، وعلى قراءة الإفراد يُستفاد معنى الجمع من الإضافة إلى ضمير الّذين يقولون، أي: ذرّيّة كلٍّ واحد[2].

بلاغةُ الكنايةِ في ﴿قُرَّةَ أَعْيُنٍ﴾:

دمـعُ الـسّـرور بـــاردٌ ودمـــعُ الحزن ساخنٌ

تضمّن قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ﴾ فنًّا من فنون البيان، وهي الكنايةُ في قوله ﴿قُرَّةَ أَعْيُنٍ﴾، وهي كناية عن السّرور والفرح، وهي مأخوذة من القُرِّ وهو البَرْد، يقال: دمعُ السّرور باردٌ، ودمعُ الحزن سُخن، ويقال: أقرّ الله عينك، وأسخن الله عينَ العدوّ، وقيل: مأخوذ من القرار أي يَقَرُّ النَّظر به ولا ينظُرَ إلى غيره، وقال أبو عمرو: وقُرّة العين النّومُ أي آمنًا؛ لأنّ الأمن لا يأتي مع الخوف، وقُرّة العين فيما ذكر بعض السّلف: رؤيتهم مطيعين لله، قاله ابن عبّاس والحسن، وكانوا في أوّل الإسلام يهتدي الأبُ والابن كافرٌ، والزّوجُ والزّوجة كافرة، وكانت قرّةُ عيونهم في إيمان

(1) ابن الجزري، النشر: 3/ 335.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 19/ 83.

أحبابهم، وقال ابن عبّاس: قرّة عين الوِلدان تراه يكتب الفقه، والظّاهر أنّهم دعوا بذلك ليُجابوا في الدّنيا فيُسرّوا بهم[1].

نكتةُ تنكير ﴿قُرَّةَ﴾ وإفرادِها:

سـؤالُ المؤمنين السّرورَ العظيم

ورد لفظُ ﴿قُرَّةَ﴾ في قوله تعالى ﴿رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ﴾ نكرةً، والغرضُ البلاغيّ من تنكيرها التّفخيمُ والتّعظيم، أي: سرورًا عظيمًا لا يُكتنه كنهُه[2].

نكتةُ تنكير ﴿أَعْيُنٍ﴾ وجمعِها جمعَ قلّةٍ:

قـلّـةُ عبـادِ الله المتّـقين مقارنـةً بالكافرين

جاء لفظُ ﴿أَعْيُنٍ﴾ نكرةً في قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ﴾؛ لأجل تنكير القرّة؛ لأنّ المضافَ لا سبيل إلى تنكيره إلّا بتنكير المضاف إليه، كأنّه قال: هب لنا منهم سرورًا وفرحًا، وكذلك يمكنُ أن يكون التّنكيرُ للتّقليل، ليناسبَ بناء (أفعل) في التقليل، كأنه قرّة أعين الشّكورِ من عباد اللّه.

وإنّما قال ﴿أَعْيُنٍ﴾ بجمع القلّة دون عيون؛ لأنّه أراد أعينَ المتّقين، وهي قليلة نسبةً إلى عيون غيرهم، قال تعالى: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ ﴿١٣﴾﴾ [سبأ: 13]، ويجوز أن يقال في غرض تنكير أَعْيُنٍ أنّه للتّخصيص بمعنى أعينٍ خاصّةٍ، وهي أعينُ المتّقين[3] كذا قال صاحبُ الكشّاف، وتعقّبه ابنُ المنيّر بأنّ الظّاهر أنّ المحكيَّ كلامُ كلّ واحدٍ من المتّقين، أي: يقول كلّ واحدٍ منهم: اجعل لنا من أزواجنا وذرّيّاتنا قرّة أعين، قال: وهذا أحسن من تأويله، فإنّ المتقين - وإن كانوا قليلين - فهم كثيرون في أنفسهم، وقلّتُهم بالنّسبة إلى غيرهم، والمعتبرُ في جمع القلّة أن يكون الشّيء قليلًا في نفسه لا بالنّسبة والإضافة[4].

(1) أبو حيّان، البحر المحيط: 8/ 133.
(2) الطّيبيّ، فتوح الغيب: 10/ 533.
(3) الزمخشريّ، الكشّاف: 3/ 296.
(4) ابن المنيّر، الانتصاف من الكشّاف: 3/ 296.

بلاغةُ المجاز في جملة ﴿هَبْ لَنَا﴾:

صـــلاحُ الأهـــل والأولاد سببُ سعادةِ المؤمنين

تضمّن قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ﴾ مجازًا، وذلك لأنّ عباد الرّحمن سألوا ربّهم أن يرزقهم أزواجًا وأعقابًا عمّالًا لله، فكان التّقدير: (هب لنا أزواجًا وذرياتٍ مطيعين لك)، ولمّا كانت طاعتُهم سببًا لسرورهم وُضع المسبّبُ موضعَ السبب للمبالغة، وأنَّ المطلوبَ الأولى بالأولاد طاعة الله، وجُعل هذا الدّعاء من جملة صفات الكَمَلة من المؤمنين للدّلالة على عظم منزلةِ من يطلب النّكاح لذلك، وهذا بالنّسبة إلى الدّاعي، فكيف بمن يتّصفُ بذلك[1].

دلالةُ العطف بالواو:

مـــن صـفـات الصّالحين طلبُ الإمامة في الدّين

عُطف قوله تعالى: ﴿وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ على ما قبله بحرف الواو الدّالِّ على الجمع والاقتران، فكما سأل الصّالحون التّوفيقَ والخير لأزواجهم وذرّياتهم عطفوا عليه الدّعاء لأنفسهم بعد أن وفّقهم الله إلى الإيمان أن يجعلَهم قدوةً يقتدي بهم المتّقون[2].

إيثارُ فعل ﴿وَٱجْعَلْنَا﴾ دون غيره:

دعاء الصّالحين بتصييرهم أئمّةً في الدّين

أوثر الدّعاء بفعل الأمر ﴿وَٱجْعَلْنَا﴾ في قوله تعالى ﴿وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾، وهو لفظٌ عامّ في الأفعال كلّها، والجعلُ أعمُّ من الفعل والصّنع وسائرِ أخواتها، ويتصرّف على خمسة أوجهٍ حسبَ السّياق الّذي يرد فيه[3]، وهو في هذه الآية بمعنى التّصيير، فعبادُ الرحمن يدعون ربّهم الكريمَ أن يصيّرهم مُقدَّمين يُقتدى بهم في الخير والدّين.

نكتةُ إضافة فعلِ الجعل إلى الضّمير (نا):

تشريك المؤمنين لبعضهم البعض في الدّعاء بالخير العميمِ

أضيف فعلُ الجعل إلى ضمير المتكلّمين في قوله تعالى: ﴿وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾؛ لأنَّ المرادَ أن يدعو كلُّ واحد لنفسه بالإمامة في

(1) الطّيبيّ، فتوح الغيب: 10/ 301.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 19/ 83.
(3) الراغب، المفردات: (جعل).

الدّين، أوِ اتَّحدَ دعاؤهم؛ لأنَّهم كنفس واحدةٍ لاتِّحاد طريقتهم واتِّفاق كلمتِهم، ومدارُ هذا صدورُ هذا الدُّعاء إمّا عن الكلِّ بطريق المعيَّةِ، وإمّا عنْ كلّ واحدٍ منْهُم بطريق تشريك غيره في الدُّعاء[1].

معنى حرفِ اللّام في الآية:

سـؤالُ الإمامـة في الـدّين لنفعِ الآخرين

استعمالُ حرف الجرّ (اللّام) من قوله تعالى: ﴿لِلْمُتَّقِينَ﴾، يجوز أن يكون معناها التّقويةَ، فيكونَ المجرور باللّام في معنى المفعول، أي: الّذين اتّصفوا بتقوى الله، أي: امتثالِ أوامره واجتنابِ ما نهى عنه، ويجوز أن يكون معنى اللّام التّعليلَ، أي: إمامًا لأجل المتّقين، يقتدون بنا في الدّين[2].

سرُّ جمعِ المتّقين وتقديمِه مع الجارّ:

اخـتـصـاصُ المتّقين بالإمامةِ في الدّين

تقدّم شبهُ الجملة ﴿لِلْمُتَّقِينَ﴾ في قوله تعالى: ﴿وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ لنكتة الاختصاص، فقد دعا عبادُ الرحمن بأن يكونوا قدوةً للمتقين دون غيرهم منَ الضّالين الفاسقين.

وجهُ التّعبير بلفظِ ﴿إِمَامًا﴾ دلالةً وصيغةً:

طلبُ الرّياسة في الدّين واجبٌ

عُبّر في قوله تعالى ﴿وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ بلفظ (إمام)، وأصلُه في اللّغة: المثالُ والقالب الذي يُصنع على شكله مصنوع من مثله، فأطلق الإمامُ على القُدوة تشبيهًا بالمثال والقالب، وغلب ذلك فصار الإمامُ بمعنى القدوة، ونظيره قوله تعالى: ﴿قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾ [البقرة: 124][3].

ووقع الإخبارُ بـ ﴿إِمَامًا﴾ وهو مفرد عن ضمير جماعة المتكلمين؛ لأنّ لفظ (إمام) يستعمل مفردًا وجمعًا كهِجان والمرادُ به هنا الجمعُ ليطابق المفعولَ الأول لجعل، واختير على (أئمة)؛ لأنّه أوفقُ بالفواصل

(1) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 6/ 231.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 19/ 83.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 19/ 83.

السّابقة واللّاحقة، وقيل: هو مفرد، وأُفرد مع لزوم المطابقة؛ لأنّه اسمُ جنس فيجوز إطلاقُه على معنى الجمع مجازًا بتجريده من قيد الوَحدة، أو لأنّه في الأصل مصدرٌ وهو لكونه موضوعًا للماهية شاملٌ للقليل والكثير وضعًا، فإذا نُقل لغيره قد يُراعي أصله، أو لأنّ المراد: (واجعل كلّ واحد منا)، أو لأنّهم كنفس واحدة لاتّحاد طريقتهم واتفاق كلمتهم[1].

❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

العطيّة والهِبة والمِنحة:

تشترك هذه الألفاظ في كونها من عقود التّبرّعات، ويظهر الفرقُ بينها في علاقة العموم والخصوص، فالهبةُ أحدُ أنواع العطيّةِ[2]، فتكون بهذا العطيّةُ أعمَّ مطلقًا من الهبة.

العطيّةُ أعمُّ مطلقًا منَ الهبةِ والمنحةِ

كما يتجلّى الفرق بينهما في أنّ المُعطي يحقّ له أن يرجعَ في عطيته، وأمّا الواهب والمانح فلا يجوز له أن يرجع في هبته[3]، لقوله ﷺ لعمر بن الخطّاب رضي الله عنه: «لا تَعُدْ في هبتك، فإن العائد في هبته، كالعائد في قيئه»[4].

وأصل المنحةِ الشّاةُ أوِ البعير يمنحُها الرّجل أخاه فيحتلبُها زمانًا ثم يردّها، قال بعضهم: لا تكون المنحة إلّا النّاقة، ثم صارت كلُّ عطية منحةً لكثرة الاستعمال، وقال بعضهم: كلّ شيء تقصدُ به قصدَ شيء فقد منحته إياه[5]، ولمّا كانت الهبةُ تمليكًا لا رجعةَ فيه ناسب هذا المعنى دعاءَ المؤمنين بأن يرزقَهم الله تعالى كلَّ هذه العطايا من غير ردّ أو إرجاع، والقصدُ ثباتُها فيهم نوالًا دائمًا راسخًا.

(1) الآلوسي، روح المعاني: 10/ 52.
(2) الحطّاب، مواهب الجليل: 6/ 49.
(3) ابن جبرين، شرح عمدة الأحكام: 54/ 08.
(4) متفق عليه: رواه البخاري، الحديث رقم: (2621)، ومسلم، الحديث رقم: (1622).
(5) العسكريُّ، الفروق اللُّغويَّة، ص: 515.

الزوج والبعل:

عمومُ الزّوج في الذّكر والأنثى، وخصوصُ البعل بالرّجل

يتّضحُ الفرق بينهما أنّ الزّوج يقال لكلّ واحد منَ القرينين منَ الذّكر والأنثى في الحيوانات المتزاوجة زوجٌ، ولكلّ قرينين فيها وفي غيرها زوج، كالخُفّ والنّعل، ولكلّ ما يقترن بآخر مماثلٍ له أو مضادٍّ: زوجٌ[1]، قال تعالى: ﴿فَجَعَلَ مِنْهُ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ ۝٣٩﴾ [القيامة: 39]، وقال: ﴿قُلْنَا ٱحْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ﴾ [هود: 40]، غير أنّ الرّجل لا يكون بَعْلا للمرأة حتّى يدخل بها، وذلك أنّ البِعال النِّكاحُ والملاعبة، وأصلُ الكلمة القيامُ بالأمر، ومنه يقال للنّخل إذا شرب بعروقه ولم يحتج إلى سقي: بعلٌ، كأنّه يقوم بمصالح نفسه[2]، ولمّا كان هذا الدّعاء صادرًا عن المؤمنين، ويشمل ذلك رجالَهم ونساءهم، ناسب التّعبيرُ بلفظ (زوج)؛ ليكون هذا دعاءَ المؤمنين والمؤمنات جميعا بأن يرزق اللّه تعالى الرّجال أزواجًا صالحاتٍ، ويرزقَ المؤمنات أزواجًا صالحين تقرّ أعينُهم بهم.

الذّريّة، والنّسل والخَلَف:

دلالةُ الذّريّة على الانتشار والنّسل على السّرعة

يظهر الفرق بين هذه الألفاظ في أصل الاشتقاق وفي ملحظ التّسمية، فالذّرّية مأخوذةٌ من الذّرّ والانتشار، فتطلقُ على نسل الرّجل وما توالد منه ومن أبنائه وبناته، فهي تنتظم الأولادَ ذكورًا وإناثًا[3]، وأمّا النّسلُ فأصله الخروجُ والسّقوط بسرعة، وهو مصدر نَسَلَ يَنْسُلُ أي: خرج بسُرعة، قال تعالى: ﴿إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ ۝٥١﴾ [يس: 51]، ومنه نسل وبرُ البعير، ونسل ريشُ الطّائر أي: خرج وتطاير، وقيل: النّسل الخروجُ متتابعًا، وسمّي الولد نسلًا لخروجه من ظهر الأب، وسقوطِه من بطن الأمّ بسرعة[4].

(1) الرّاغب، المفردات: (زوج)، ص: 384.
(2) العسكري، الفروق اللّغوية، ص: 283، والكفويّ، الكليّات، ص: 249.
(3) ابن فارس، مقاييس اللّغة، والرّاغب، المفردات: (ذرّ).
(4) الرّاغب، المفردات: (نسل)، وتفسير الراغب: 1/ 428، والسّمين الحلبي، الدّرّ المصون: 2/ 353، والقرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 18/ 3، وأبو حيّان، البحر المحيط: 2/ 316.

أمّا الخَلَفُ: فأصله ما جاء بعدُ، ويقولون: هو خَلَفُ صِدْقٍ من أبيه، وخَلَف سوء من أبيه، فإذا لم يذكروا صِدقا ولا سوءا قالوا للجَيِّد خَلَفٌ وللرَّديء خَلْفٌ، قال الله تعالى: ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ﴾ [الأعراف: 169](1)، ولمّا كان سياقُ الآية حرْصَ الصّالحين على انتشار الدّين ناسب التّعبيرُ بلفظ الذرّيّة الدّالّ على الانتشار.

الإمامة، والرّياسة، الزّعامة:

خصوصُ الإمامة بالتّقدّم في الدّين والخير

لا تكون الإمامة إلّا في الدّين والخير بخلاف الرّياسة والزّعامة، والدّليلُ قوله تعالى: ﴿۞وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّۖ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًاۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِىۖ﴾ [البقرة: 124] أي: اجعل أيضًا من ذريتي أئمةً يهدون إلى الدّين، ﴿قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٢٤﴾﴾ [البقرة: 124]، فالآية تدلّ على أنّ إمامةَ الدّين لا ينالها الظّالمون، ولو كان المقصودُ من الآية رياسةَ الدنيا وزعامتَها لكان قوله: ﴿لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٢٤﴾﴾ [البقرة: 124] يتصادم مع الواقع؛ لأنّنا نرى أنّ الرياسة آلت في كثير من الأحوال إلى أيدي الظّالمين، وأمّا الإمامةُ الدّينية فلا يمكن أن تقع أبدًا في يدي ظالم، وإنّما هي لأئمة الهُدى.

(1) ابن فارس، مقاييس اللّغة، والرّاغب، المفردات: (خلف).

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثامن والثلاثون،
سورة الفُرقَان من الآية 43 إلى سورة الشُّعَراء الآية 95
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الثامن والثلاثون، سورة الفُرقَان من الآية 43 إلى سورة الشُّعَراء الآية 95
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 38 ، 808 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-732-80-8
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 38 : المجلد الثامن والثلاثون، سورة الفُرقَان من الآية 43 إلى سورة الشُّعَراء الآية 95.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-732-80-8
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-5248773 بتاريخ 2024/11/26م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»